# حرب المواصلات (١)

وصفت هذه الحرب أوصافاً شتى . فقيل إنها حرب خاطفة آلتها الدبابات والطائرات والسيارات المدرعة . وقيل إنها حرب موارد ومصانع ، فالدولة التي تستطيع ان تصمد أكثر مما يصمد غيرها على ما تبليه الحرب من آلات الحرب ، وتستطيع ان تنتج منها ، أكثر مما يستطيع غيرها ان ينتج منها ، هي الدولة التي يلتوي في يدها غصن الظفر النهائي . وقيل إنها حرب ستكون القوة البحرية فيها بالاشتراك مع قوة الطيران العامل الحاسم في آخر الأمر . كما قيل إنها حرب الشعوب ، لابدّ ان يكتوي بنارها جميع طبقات الشعب من مجندين وغير مجندين رجال ونساء وصغار على السواء

وهي أوصاف جميعها صحيح ، ولكن كل وصف منها ينطبق على ناحية واحدة من الحرب ، او على مرحلة من مراحلها . فالدبابات والطائرات والسيارات المدرعة كما استعملها الالمان في الحرب الخاطفة ، قضت على بولندا وبلدان أوربا الغربية . والقوة البحرية بالاشتراك مع القوة الجوية ، أتاحت عملية دنكرك ومعركة ماتابان وتأثيرها في سير الحرب مستمرٌ متصل لا يقف عند حد من حدود الزمان والمكان . ومنزلة الموارد والمصانع متجلية في ما يبذله الفريقان المتحاربان من جهد في ميدان الانتاج ، فألمانيا تحاول من جهة ان تكسب الحرب قبل ان يثمرها الانتاج الحربي البريطاني الأميركي ، وقبل ان تشتد حاجتها الى موارد غير متاحة لها ، الا في أقاصي الارض او في أقاصي روسيا على الأقل ، بينما تهددها المشاق التي تعانيها في الاستيلاء على هذه الموارد بفراغ الرمل من الزوادة ، وارتفاع المد الطاغي عليها من جهة الغرب بينما بريطانيا والولايات المتحدة تحشدان الخطى الى التفوّق في الانتاج وهو في متناولها

الى هذه الاوصاف المتعددة ، يجب أن نضيف وصفاً آخر ، وهو ليس بالوصف الجديد ، ولكن الحوادث تفرضه علينا فرضاً ، وقد يبدو من قبيل تحصيل الحاصل ولكن منزلته تطرد ارتفاعاً وتتعاظم شأناً حتى ليصح ان نقول ، انه غدا من وراء جميع نواحي الحرب الأخرى ، واليه مردها ، وعليه مصيرها . ذلك بأن هذه الحرب علاوة على كونها حرباً خاطفة في نواحٍ ومراحل ، وعلى كونها حرب موارد ومصانع في جميع نواحيها ومراحلها ، هي كذلك حرب مواصلات

فانتشار مدى الحرب في القارات الثلاث واحتمال امتدادها الى القارات الخمس او الست ،

---

(١) حديث لرئيس تحرير المقتطف أذيع في ٦ نوفمبر ١٩٤١ من محطة الاذاعة اللاسلكية في القاهرة

يجعل مسألة المواصلات في نظام الاون شأناً وخطراً . فنقل الانتاج الحربي الاميركي والبريطاني الى بريطانيا وروسيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى ، ونقل السلاح والمهمات من غرب المانيا الى شرقها ، ومن غرب المانيا عن طريق ايطاليا الى شمال افريقية ، ومن غرب المانيا ووسطها الى جنودها المنتشرة على طول الساحل الاوربي من النرويج الى أسبانيا او الى قواتها المحاربة في شمال الميدان الروسي — كل ذلك يحمل أسباب المواصلات والنقل عبئاً عظيماً . وقد يكون الظفر في ابقاء طرق المواصلات مفتوحة والنقل ميسوراً ، بينما تعرقل مواصلات العدو ، ويُبعث الاضطراب في أسباب نقله، من العوامل الحاسمة في النتيجة النهائية

في هذه الحرب — حرب المواصلات — لمعركة المحيط الاطلسي منزلة خاصة ، ولكنها ليست بالمعركة الوحيدة ، بل لأوربا الهتلرية معركة مثلها من هذه الناحية ، وهي ليست دون معركة المحيط الاطلسي منزلة وشأناً . وفي أنباء الاسبوع طائفة غير يسيرة من الانباء تؤيد كل ما تقدم

## معركة المحيط الاطلسي

أذاعت الاميرالية البريطانية في أوائل نوفمبر ، خارجة عن ما جرت به عادتها ، ان عدد ما أُبيد من ضباط غواصات المحور ورجالها بلغ حتى آخر اكتوبر الماضي ١٢٧٦ ضابطاً وبحاراً . وهو رقم جدير بالعناية . خليق بالتحليل . ونحن اذا اعتبرنا متوسط عدد رجال الغواصة الواحدة اربعين ، وهو اعتبار معقول ، فالرقم الذي أوردته الاميرالية البريطانية يمثل ثلاثين غواصة الى خمس وثلاثين . ولكن من أندر النوادر في الحرب البحرية ، ان يؤسر رجال غواصة ما ، كاملي العدد . والغالب أن ينقذ فريق متفاوت العدد من رجالها . ثم ما كل غواصة تغرق ينقذ منها بعض رجالها ، بل كثيراً ما تدمر غواصة ما ، بغير ان ينجو من رجالها وضباطها احد . فالرقم الوارد ، في بلاغ الاميرالية البريطانية ، يشمل فئات متفاوتة العدد ، من غواصات كثيرة ، متجاوزين عن الغواصات التي دمرت ، بغير أن يبقى احد من رجالها ، يروي روايتها

ولم تشر الاميرالية في بيانها ، الى عدد الغواصات التي أُغرقت من بدء الحرب ، وذلك لاسباب وجيهة ، أهمها ان ذكر هذه الحقائق ، ولو كانت في بيان عام ، مصدر يستخرج منهُ الالمان والايطاليون أشياء قد لا يعرفونها . ثم ان الامتناع عن ذكرها ، له وقع نفسي غير يسير في رجال الغواصات العاملة ، لانهم يمضون في عملهم ، وفي نفوسهم اثارة من القلق على زملائهم ، وعلى انفسهم كذلك . ولكن اذا كانت الاميرالية البريطانية قد امتنعت عن ذكر عدد الغواصات التي اغرقت ، فاننا نستطيع أن نعتمد بعض الاعتماد ، على احصاءات تدلُّ على مصير

الغواصات في الحرب العالمية الاولى . وهي احصاءات دقيقة مستخرجة مما عرف في اثناء الحرب ومما لم يعرف الا بعد انتهائها . وهي تشير الى ان سبعين في المائة من جميع الغواصات التي دمرت ، غرقت بغير ان ينجو أحد منها . وان الثلاثين في المائة الباقية ، غرقت ولم ينج من رجالها الا نحو أربعين في المائة على المعدل. فاذا فرضنا فرضاً فقط ، ان مائة غواصة اغرقت في الحرب الماضية ، وان كل غواصة كان فيها اربعون ضابطاً وبحاراً ، فسبعون من هذه الغواصات غرقت ولم ينج احد منها . وثلاثون غرقت ولم ينج من رجالها وضباطها الباقين ١٢٠٠ سوى اربع مائة وثمانين

فاذا كانت هذه النسبة هي السارية الآن ، فعدد الرجال الذين أسروا من الغواصات الالمانية والايطالية — وهو ١٢٧٦ — يجب ان يمثل ثمانين غواصة غرقت وأنقذ بعض رجالها ، وهذا العدد هو ثلث الغواصات الغارقة جميعاً . اي ان مجموع الغواصات الغارقة حول ٢٥٠ غواصة

اننا نسلم بأن هذا التقدير مستخرج بالقوة ، والاستنتاج ، من مقدمات صدقت على الحرب الماضية وقد لا تصدق تماماً على هذه الحرب وقد قال أحد الخبراء البحريين الاميركيين أن غرق مائتي غواصة من غواصات المحور تقدير معقول . وما كنا لنقبل مغزى قوله هذا لو لم تقم دلائل اخرى تشير الى عظم خسارة المحور في الغواصات ، بصرف النظر عن رقم بعينه

في مايو الماضي أعلن في لندن ان عدد رجال الغواصات الذين أسروا في العشرين شهراً الاولى من الحرب بلغ ٤٥٠ ضابطاً وبحاراً . والآن في الاسبوع الاول من نوفمبر أعلن ان عدد هؤلاء الاسرى بلغ ١٢٧٦ اي ان الزيادة في عدد هذه الطبقة من الاسرى بلغت ٨٢٦ في ستة أشهر . أي ان البريطانيين وحلفاءهم أسروا في خلال الستة الاشهر الاخيرة من رجال الغواصات ضعفي ما أسروه منهم في العشرين شهراً الاولى من الحرب . واذا أقمنا حسابنا على أساس المعدل الشهري كان المعدل الشهري للعشرين شهراً الاولى من الحرب ٢٢ ضابطاً وبحاراً ، وكان المعدل الشهري للستة الاشهر الاخيرة ١٣٨ ضابطاً وبحاراً اي اكثر قليلاً من ستة اضعاف

هذه الوثبة الكبيرة في زيادة خسارة المحور في الغواصات ورجالها يحاذيه نقص ملحوظ في خسارة الملاحة البريطانية الحليفة . وهو النقص الذي أشار اليه المستر تشرتشل في خطاب الذاع يوم ٣٠ سبتمبر الماضي عند ما قال ان خسارة السفن التجارية البريطانية والحليفة نقصت الثلثين في يوليو واغسطس وسبتمبر ، بالقياس الى الخسارة في ابريل ومايو ويونيو

وتعزى الوثبة الكبيرة في خسارة غواصات المحور والنقص البين في خسارة ملاحة بريطانيا وحلفائها الى العون البحري الاميركي المتزع اولا في قالب دوريات الحياد الاميركية ثم

في قلب البحرية الاميركية مباشرة عن أثر نزول الاميركيين في سسندة وصدور الامر الى الاسطول الاميركي باطلاق النار على معبرات المحور في مياه اميركة الدفاعية. واذا كانت وزارة البحرية الاميركية لم تتلق ما أعرقلة سفنها الحربية من غواصات المانية أو ايطالية، لاسباب لها وجاهة الاسباب التي تمنع الاميرالية البريطانية عن اذاعة من هذا القبيل، فلا يحتمل كثيراً ان تكون قنابل الدفاع الاميركية، وقنابل الاعماق، قد وقعت جميعاً بعيداً عن أهدافها

ثم تعزى زيادة خسارة المحور في الغواصات، الى زيادة سفن الحراسة البريطانية، والى اتقان الوسائل التي تتوسل بها لمكافحة الغواصات، وحماية القوافل منها ومن القاذفات الالمانية البعيدة المدى. ومن هذه الوسائل قنابل الاعماق الجديدة، التي أحدثت نوعاً من الذعر بين رجال الغواصات لشدة تفجرها، ومدى انتشارها بعد التفجر. كما تعزى الى استعمال طائرات مطاردة توضع على متن السفن التجارية وتقذف الطائرة منها بجهاز يشبه المنجنيق القديم، فترتفع في الجو، لمطاردة القاذفات الالمانية البعيدة المدى من طراز فوك-ولف. ويقول بعضهم انها يجب ان تعزى كذلك الى انشغال هتلر بالحرب الروسية القروس التي تحمله أشياء لم يكن يتوقعها جميعاً، ولعلّ هذا الرأي ليس على جانب كاف من الوجاهة، لان الاميرالية مستقلة عن الاعمال البرية، ووزير البحرية البريطانية، قال في خطبة حديثة له ان نشاط الغواصات الالمانية زاد في الاشهر الاخيرة، وهذا يرجح تأثير العون الاميركي واتقان وسائل مكافحة الغواصات

ومهما يكن للتفسير، فالامر الواضح، هو ان هناك نقصاً في خسارة السفن التجارية البريطانية والحليفة في المحيط الاطلسي. وكان يخشى في الربيع عند ما زادت هذه الخسارة زيادة ملحوظة. ان تبلغ ذروتها في أشهر الصيف والخريف عند ما يكون الجو مؤاتياً لاغارة الغواصات على السفن. وكان يخشى كذلك ان تبلغ هذه الخسارة مبلغاً يؤثر في قدرة بريطانيا على تموين نفسها بالسلاح والطعام والخامات الحربية، تأثيراً لا يكفي لابطاله ما يستطاع نقله اليها من سفن أميركية، أو ما يمكن اخراجه من دور الصنعة البحرية. أما وقد أوفت أشهر الخريف على الادبار، وخسارة الملاحة البريطانية والحليفة في نقص مطرد، وخسارة الغواصات في زيادة مطردة. فيصح القول بأن هذه الناحية من معركة المحيط الاطلسي غدت في مأمن من الخطر الحاد لان ما تصنعه بريطانيا والولايات المتحدة من سفن الملاحة يعوض الخسارة او يفوقها حتى اذا زادت. ومع ذلك فليس في مكنة حسيب ان يزعم أن معركة المحيط الاطلسي قد حسمت الثانيا نهائياً. وكسبتها بريطانيا بعونة أميركا نهائياً، لأنها مستمرة مدى الحرب وفيها اقبال وادبار ولكنها على ما يرجح جاوزت مرحلة الخطر

## معركة المواصلات في اوربا

هذا ان حرب المواصلات تشمل معركة المحيط الاطلسي كما تشمل معركة مواصلات القارة الاوربية نفسها. وفي الانباء والبلاغات الرسمية اشارات متعددة الى ما أغرق من سفن المحور في مياه البحر الشمالي على سواحل النروج وسواحل شمال اوربا الغربي والى ما أغرق منها في البحر المتوسط. فما دلالة هذه الانباء؟ ولماذا تغامر المانيا بسفنها في المياه الشمالية معرضة اياها لسفن بريطانيا الحربية ولقاذفاتها ومطاردتها؟ ولماذا تعتمد المانيا الى خطوط مواصلات طويلة بينما تستطيع الاعتماد على خطوط مواصلات قصيرة تخترق قلب القارة الاوربية؟

في الرد على هذه الاسئلة يجب ان نتذكر ان لالمانيا جامعات كبيرة ممتدة في غرب اوربا المحتلة من شمال النروج الى شمال اسبانيا. وان هذه الجامعات يجب ان تموّن. وتموينها يقتضي نقل مقادير كبيرة من المواد وقد كان في وسع المانيا ان تنقل اليها ما تريد نقله بسكك الحديد وبسفن الانهار والاقنية وبالسيارات. أما النقل بالسيارات فتريد المانيا ان تبقي مداه محدوداً جهدها توفيراً لما يمكن توفيره من الوقود السائل. وأما سكك الحديد وسفن الانهار والاقنية فعرضة ليلة بعد ليلة لغارات القاذفات البريطانية على الخطوط ومتقى الخطوط وأحواض الحركة. وحسبي ان اضرب مثلاً او مثلين تأييداً وايضاحاً لما أقول.

ان لنظام سكك الحديد الالمانية شديد التعقيد ولكنه عظيم الكفاية الا انه لشدة تعقيده واتساع شبكه عرضة لمهاجمة مواقتة من الجو. وهو أشد ما يكون كذلك في الرور، وهي أعظم منطقة صناعية في المانيا. فهناك طائفة من أكبر مصانع الحديد والصلب. وهناك يستخرج ٨٥ في المائة من فحم المانيا. ونظام سكك الحديد الالمانية شرق الرين، انما انشيء لسد حاجات الرور، فتمشّى عدد وافر من تركيات النقل، وقطرها محلياً، بأقصى سرعة مستطاعة الى حيث يحتاج اليها في المانيا، مرتبط أوثق ارتباط بما يعرف باسم «أحواض الحركة» وهي الساحات التي تصف فيها تركيات النقل وتنظم قطارات. هذه الساحات شديدة التأثر بالهجوم الجوي، ولا يتسع المقام لتفصيل تأثيره فيها، وانما يكفي أن نقول إن ضرب هذه الساحات على وجه خاص، أفضى الى عرقلة واضطراب في النقل بسكك الحديد الالمانية

فالذين رحلوا الى ليبرج لمشاهدة معرضها استغرقت رحلتهم في أثناء العودة من تلك المدينة الى البرتغال خمسة أيام بدلاً من يوم ونصف يوم والمسافرون من برلين الى كولون ويال

في أكتوبر من السنة الماضية اضطروا أن يغيروا القطار الثني عشرة مرة في الطريق[1]

يضاف الى هذا أن اشتداد القتال في الميدان الشرقي ، واتساع ساحات ذلك الميدان وطول أمد العراع ، قضت جميعاً بأن تستأثر حاجات النقل الحربي ، الخاص بالميدان الشرقي بمعظم وسائل سكك الحديد الألمانية ، علاوة على وجوب الالتفات الى ميدان شمال افريقية ، ونقل بعض ما تحتاج اليه ايطاليا نفسها من البضائع والأسلحة والطعامات . فالمدفع الضخم الذي يصنعه كروب في منطقة الرور لا بد أن ينقل بسكك الحديد الى ساحة موسكو أو ساحة أوكرانيا أو الى نابولي بايطاليا ثم بحراً الى طرابلس . وقد كانت شبكة المواصلات الحديدية في أوربا النارة ، قبل الحرب غير وافية بالغرض بحركة النقل فيها . فكان فحم المانيا يذهب الى ايطاليا من ثغر رهو لندا بحراً لا بسكك الحديد . وكان وكار الحديد الاسباني ينقل الى شمال المانيا الغربي بحراً لا بسكك الحديد . وكان بترول رومانيا يجتاز مسافات طويلة في البحر الأسود والدردنيل والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي والبحر الشمالي الى ثغور المانيا الشمالية ، لا بسكك الحديد . وهذا في أيام السلام ، فلا بدَّ أن يكون العبء الواقع على سكك الحديد الاوربية في أثناء الحرب أكبر وأفدح ، بصرف النظر عما تصاب به من التعطيل والتأخير بفعل الغارات الجوية البريطانية . والسفينة في البحر تغرق اذا أصيبت اصابة مميتة بطوربيد غواصة أو قنبلة طائرة وقد لا تصاب السفن الاخرى في القافلة . ولكن اذا وقع تلف بالغ في « حرش الحركة » في بلدة حام الالمانية مثلاً فأثره يمتد في تعطيل الحركة وتأخيرها الى جميع أنحاء المانيا . فكان لا بد لالمانيا من أن تعتمد اعتماداً مطرداً على النقل البحري في تموين جامياتها في غرب أوربا واستيراد ما تستطيع استيرادهُ من اسبانيا مثلاً وغيرها ، مستعينة بسفن تتسلل على الشاطىء من ثغر الى ثغر ومن جرن الى جرن ، محتمية ما استطاعت بستار الظلام . ولكن القاذفات البريطانية التابعة لقيادتي السواحل والقاذفات والمطاردات البريطانية تكشفها وتقذفها بالقنابل او برصاص الرشاشات

وألمانيا الآن تعتمد كذلك اعتماداً غير يسير على النقل البحري لتعزيز قواتها في الساحة الشمالية من الميدان الروسي أي في شمال شرق النروج وشمال فنلندا . وقد تعتمد على النقل البحري في البلطيق لهذا الغرض ، ولكن الغواصات الروسية كثيرة هناك ، وبعد قليل يتجمد بحر البلطيق ولذلك اتجهت الى توجيه سفنها متسللة على طول الساحل النروجي . وهناك مواقع تلوذ بها السفن ولا تستطيع القوات البحرية ان تصلها لكثرة التضاريس والجزائر والصخور . فالقاذفات هي الوسيلة الوحيدة للاغارة على هذه السفن . وقد أغرق منها في أوائل نوفمبر

(١) راجع صفحة ٥٠٥ من فصل « الحرب الجوية والصناعة الالمانية » في هذا الجزء من المقتطف

في مياه آلسوند وحشدا سبع سفن في يوم واحد ، والمواصلات الايطالية الالمانية على شمال افريقية عرضة للمشكلات نفسها. والسفن بين جنوب ايطاليا وبين طرابلس أهداف للطائرات البريطانية وللغواصات والطرادات والمدمرات . وتقول السلطات البريطانية ان غرضها في البحر المتوسط مناجزة الأسطول الايطالي وقطع سبل البحر على السفن الايطالية الناقلة ، وابادته طريقاً للقوافل البريطانية . أما احتمال مناجزة الأسطول الايطالي فرتبط بمدى التزامه قواعده . واما قطع سبل البحر على السفن الايطالية الناقلة فالمعوَّل في الشهرين الماضيين ان نصفها يذهب بين غارق ومعطوب. واما استعمال البحر طريقاً للقوافل البريطانية فتنجاح فيه متجلٍّ في تدفق الامداد من كل صنف على الشرق الاوسط من جميع النواحي

## موقف اميركا في هذه الحرب

في هذه الناحية من الحرب العامة أي في حرب المواصلات للولايات المتحدة الاميركية منزلة عظيمة لانها تشترك في حماية مسالك المحيط الاطلسي بدعوى الحربية من « الحيات ذوات الاجراس » وهو وصف روزفلت للغواصات ، ولانها ترسل بمعظمها وافضل العلم الاميركي الامداد الاميركية الى الشرق الاوسط عن طريق البحر الاحمر وخليج ايران والى الشرق الاقصى وروسيا والصين . ولذلك كان لاغراق المدمرة الاميركية « روبين جيمس » في أواخر أكتوبر رنة خاصة في دوائر وشنطن حيث يشرف النقاش في تعديل قانون الحياد أو الغائه على مرحلته الاخيرة . وقد لا ينقضي أسبوع آخر قبل ان يصبح الجانب الاكبر من هذا القانون ذكرى تاريخية لأمل منهار[1] . هذا الأمل المنهار هو أمل فريق من الاميركيين في المحافظة على سلامتهم وسلامهم في عالم تتنازعه ثورة مجتاحة عالمية ليست الحرب الا عرضاً من اعراضها

اذن لماذا لا تدخل اميركا الحرب ؟ قلت لصاحبي الذي سأل هذا السؤال ألم « تدخل الولايات المتحدة الحرب ؟ ألم تحض غمارها في ناحيتها السياسية باعلانها نيتها وعزمها على بذل كل ما تستطيع للقضاء على المتلرية وناحيتها الاقتصادية والصناعية بتعبئة مواردها واقرار قانون التأجير والاعارة ، وناحيتها الدبلوماسية باصدار الامر الى الاسطول باطلاق النار على مغيرات المحور ؟ نعم انها لم تعلن بعد انها في حالة حرب ، وفقاً لقواعد الدستور ، وقد يعد الغاء قانون الحياد من الوجهة الدستورية لهذا الاعلان ، وقد لا يكون الاعلان الآن خير الامور ، ولا أهم ما تبديه أميركا لتحقيق سياستها ، وان كان يضع الطابع الرسمي على هذه السياسة »

(١) عدل قانون الحياد فعلا بعد انقضاء أسبوع تماماً على القاء الحديث